حجاجيّة الحوار في سورة الزُّخرف

أ. م. د. عماد محمد محمود

كلية الآداب ــ جامعة بغداد

النظرية الحجاجية واحدة من النظريات القديمة التي شهدت تطورا ملحوظاً في العصر الحديث بوصفها منهجا يصب اهتمامه على وضع آليات ومحددات لاستثمار البلاغة البرهانية في إنتاج نصوص قولية تنتهج الوسائل الإقناعية لإحداث تأثير معين في السامع أو القارئ, فضلا عن الكشف عن الخصائص الحجاجية للنصوص المهمة. وهذا البحث يسعى إلى الكشف عن أثر أحد ركائز الحجاج الرئيسة هو الحوار في تشكل الطابع الحجاجي, وكيفية استثماره لخدمة الفكرة في إحدى سور القرآن الكريم, وهي سورة الزخرف, التي تمتاز بتفشي أسلوب الحوار فيها على مستويات عدة, وبين متحاورين مختلفين, وبنتهاج أساليب قولية مختلفة, تأكيداً لفكرة وحدانية الخالق وعدله وامتلاكه لكلِّ الخلق وتفضله عليه.

الكلمات المفتاحية: النظرية الحجاجية؛ البلاغة البرهانية؛ الوسائل الإقناعية؛ الخصائص الحجاجية؛ القرآن الكريم؛ أسلوب الحوار.

The Dialogue Argumentativeness in 'Al-Zukhruf' Verse

Abstract: The argumentative theory is one of the ancient theories that have witnessed a remarkable evolution in the modern era as a method that focuses its heed on the setting of mechanisms and determinants to invest the evidentiary rhetoric in the anecdotal texts production pursuing persuasive means to bring about a specific effect on the listener or reader, as well as the disclosure of the argumentative characteristics of important texts. This research seeks to reveal the impact of one of the main argumentation pillars, which is the dialogue in shaping the argumentative character, and how to invest it to serve the idea in one of the holy Qu'ranic verses, viz., Zukhruf verse, characterized by the prevalence of the dialogical style on several levels, and between different interlocutors, and by following different anecdotal methods, a confirmation of the idea of the Creator oneness, His justice, His ownership of all creatures and His superiority over all.

Keywords: Argumentative theory, evidential rhetoric, persuasive means, argumentative characteristics, dialogical styles

---

تاريخ تسليم البحث: 18 فبراير 2017.

تاريخ قبول البحث: 24 نوفمبر 2017.

www.manaraa.com

المقدمة:

دراسات كثيرة كُتِبت عن القرآن الكريم يصعب إحصاؤها، ومع ذلك فإن البحث في هذا السفر المقدس مازال متواصلا وسيظل كذلك حتى يرث الأرض ومن عليها، لأنه يضم كلام الخالق تعالى شأنه وهو كلام لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي أسراره، وسيتجدد البحث فيه مع تجدد مناهج البحث ونظريات اللغة والأدب والبلاغة وسواها من العلوم.

والنظرية الحجاجية واحدة من النظريات القديمة التي شهدت تطورا ملحوظاً في العصر الحديث بوصفها منهجا يصب اهتمامه على وضع آليات ومحددات لاستثمار البلاغة البرهانية في إنتاج نصوص قولية تنتهج الوسائل الإقناعية لإحداث تأثير معين في السامع أو القارئ، فضلا عن الكشف عن الخصائص الحجاجية للنصوص المهمة.

وهذا البحث يسعى إلى الكشف عن أثر أحد ركائز الحجاج الرئيسة هو الحوار في تشكل الطابع الحجاجي، وكيفية استثماره لخدمة الفكرة في إحدى سور القرآن الكريم، وهي سورة الزخرف، التي تمتاز بتفشي أسلوب الحوار فيها على مستويات عدة، وبين متحاورين مختلفين، وبنتهاج أساليب قولية مختلفة، تأكيداً لفكرة وحدانية الخالق وعدله وامتلاكه لكلِّ الخلق وتفضله عليه.

والسورة من سور الحواميم السبع، وهي سورة غافر، وسورة فصلت، وسورة الشورى، وسورة الزخرف، وسورة الدخان، وسورة الجاثية، وسورة الأحقاف. وهذه السور كلها مكية على الرأي الراجح، وتبحث في قضية واحدة هي العقيدة بإثبات الوحدانية لله تعالى، والرسالة لأنبيائه ورسله، وبالبعث بعد الموت وغيرها. وقد عرضت جانباً مما كانت الدعوة الإسلامية تلاقيه من عوائق وعقبات وجدال واعتراضات، وتعرض معها كيف كان القرآن الكريم يعالجها في النفوس، وكيف يقرر من ثنايا علاجها حقائقه وقيمه في النفوس(1). والطبيعة الحوارية حاضرة بشكل واضح في السور المكية، حين يُوَجَّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم إلى الكف عن مفاوضة مشركي مكة، والتمايز والانفصال عنهم(2).

التمهيد:

قبل الدخول في تفصيلات البحث، وجوانبه الإجرائية، ينبغي علينا أن نبيّن المفاهيم التي يرتكز عليها البحث، وهي الحجاج والحوار وسورة الزُخرف.

أولاً: مفهوم الحجاج:

الحجاج لغة: جاء في لسان العرب لـ "ابن منظور" "يقال حاججّته أحاجّه حجاجّا حتىّ حاججته أي غلبّته بالحجج التّي أدليت بها [...] والحجّة البرهان وقيل الحجّة ما دافع به

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخصم وقال الأزهري الحجّة والوجه الذّي يكون به الظّفر عند الخصومة وهو رجل محجّاج أي جدل، وحجّه يحجّه حجّا: غلبه على حجّته، وفي الحديث فحجّ أدم موسى أي غلبه بالحجّة"[3] .

أما اصطلاح فشأنه شأن أكثر المناهج والنظريات الحديثة تنازعت مفهوم الحجاج تيارات ومذاهب، وسعت حينا من حدوده وضيقت في أحيان آخر من تلك الحدود، إذ عرَّفه بعضهم بأنه "مبحث يختص بدراسة الفعالية الحجاجية (أو الحجاج)، وهي فعالية لغوية اجتماعية وعقلانية غايتها إقناع المعترض العاقل بمقبولية رأي من الآراء، وذلك عبر تقديم جملة من القضايا المثبتة أو النافية لما ورد في هذا الرأي من قضايا"[4] .

ويعرِّف بيرلمان الحجاج انطلاقاً من موضوعه الذي هو "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[5]. وإلى جانب هذا التحديد نجده يقسِّم وظائف الحجاج إلى: أولاً: الإقناع الفكري الخالص، ثانياً: الإعداد لقبول أطروحة ما، ثالثاً: الدفع إلى الفعل. [6]

أما الغاية من الحجاج فيقول عنها: "إنَّ غاية كلِّ حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه"[7] ويبدو أن أغلب تعريفات الحجاج تميل إلى تثبيت الإقناع بوصفه العنصر الأهم في تجلية مفهومه، فالمهم في الأمر إخضاع مفهوم الحجاج إلى النهايات التي تحتكم لقبول الجمهور أو رفضه، وكأنّ المؤثر في الحجاج هو المستهدف من خلاله، ولاسيما أن "المحاجّ" ليس حرّا في إثبات حجّة داخل خطابه، غير نافعة في استمالة الخصم، وخارجة عن التلاؤم مع قدراته المعرفية[8].

ولكي يوجد حجاج ينبغي أن تتوافر عناصر أساسية هي: خبر عن العالم يمثِّل إشكالاً إلى شخص ما من حيث مشروعيته. وفاعل يلتزم بهذه الإشكالية (قناعة) وينشأ برهنة لمحاولة تأسيس حقيقة (سواء أكانت خاصة أم كونيّة وسواء أتعلّق الأمر بمجرَّد مقبُولية أو مشروعيَّة ما) لهذا الخبر. وفاعل آخر مهتم بالخبر نفسه من الناحية الإشكالية والحقيقية، وهو يشكل هدف الحجاج[9].

ويقسم بيرلمان الحجاج قسمين بحسب نوع جمهور المتلقين، الأول: الحجاج الإقناعي، والثاني: الإقتناعي، والأول هدفه إقناع الجمهور الخاص، ولا يتحقق الإقناع إلا بمخاطبة الخيال والعاطفة، وهو ما يضيّق من هامش فرصة العقل وحرية الاختيار، في حين أنَّ الاقتناع الذي هو هدف الحجاج يقوم على الحرية والعقلنة. [10]

أما في القرآن الكريم فقد وردت مادة (ح. ج. ج) ومشتقاتها في ثلاثة وثلاثين موضعاً، مع استبعاد المشتقات التي تتباين تبايناً مفهومياً كبيراً مع مشتقات الجذر المفهومي للحجاج من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الإحصاء، كالجذر المشتق من (الحج) الشعيرة المعروفة، أو المشتق من (الحجج) أي السنوات[11].

والحجاج في القرآن الكريم معبَّر عنه بأشكال من العبارات والأساليب، التي تروم الحوار وتهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية والفطرية، وقد جمع القرآن كلَّ تلك الدلالات في ضميمة جامعة هي: (الحجة البالغة).

وهذه المفردات يمكن أن تُكوِّن منظومة من المفاهيم التي تجمعها علاقات الترادف أو التقابل مطلقاً، أو من وجه من الوجوه، وأهم المفردات التي أمكن رصدها هي: (الجدل، والمخاصمة، والمراء، والتحاور، والمنازعة، والخلاف) [12].

ومظاهر الحجاج في القرآن واضحة وجلية، وتكاد تكون من أهم – إن لم تكن أهم – منهج أتبعه القرآن في بسط أدلته ومفاهيمه. وما ذلك إلاَّ لأن القرآن خطاب: "وكونه خطاباً يقتضي أنَّه إقناع وتأثير"[13] وفوق ذلك فإنَّ: "الحجاج في القرآن لا يمكن أن يكون إلاَّ حجاجاً خاصاً به دون غيره من سائر الخطابات"[14] لذا فإننا سنتبع في تحليلنا للحجاج في سورة الزُخرف منهجاً ينطلق من طبيعة النص القرآني وخصائصه، وهو ما قد يقتضي تجاوزاً لبعض الأسس التي وضعها الدارسون لهذا المنهج.

ثانياً: الحوار: .

من أبرز الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم، في إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى، وعلى صدق الرسل الكرام -عليهم السلام- فيما يبلغون عن ربهم عز وجل أسلوب الحوار من أجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي[15].

والحوار كلمة تدل على التفاهم والتفاوض والتجانس، ونجد في المعجمات مصطلحات تتفق في جانب من مفاهيمها ومعانيها مع هذا مصطلح، وإذا أردنا أن نقف على مفهوم الحوار فإن ذلك يتطلب الوقوف على مفاهيم تلك المصطلحات التي لها علاقة وثيقة به وهي الجدل، والمناظرة، لأن هناك تداخلاً كبيراً على مستوى الدلالة بين هذه المصطلحات الثلاثة وهي: (الجدل - المناظرة - الحوار) وسنحاول هنا الوقوف على مفهوم كل مصطلح على حده لنرى أوجه الاتفاق والاختلاف بينها.

أ– مفهوم الجدل والمناظرة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (جدَلَ) الجيم والدّال واللاّم أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام وجدل يَجدِلُ: اشتدّت خصومته[16].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في الاصطلاح: فقد عرفه الراغب الأصفهاني بقوله: "هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجَدالة وهي الأرض الصلبة[17].

والمناظرة لغة من النظير، أو من النظر بالبصيرة، فهي من النظر تفيد الانتظار والتفكير في الشيء تقيسه وتقدره، ومن التناظر تفيد التقابل، ومن النظير تفيد التماثل[18].

أما المناظرة بمعناها الاصطلاحي فقد انطلق الدكتور طه عبد الرحمن في تعريفه لها من خلفية عدّ المناظرة خطاباً تناظرياً تقابلياً يتواجه فيه عارض ومعترض بآليات إقناعية وحقوق وواجبات، مما من شأنه أن يغير اعتقادات المتناظرين، فـ «كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والمفاعلة الموجهة يسمى مناظرة[19]. المناظرة في الواقع وإن كان أساسها من النظر فإنها تطوّرت لتعني التناظر المشحون بروح التحدي، فكل واحد من الطرفين يعتبر نفسه عند المناظرة نظيراً للآخر أو نداً وقادراً على أن يتحداه. [20]

ب- **الحوار في اللغة:**

اشتقاق لفظ "الحوار" في اللغة من مادة "ح، و، ر" التي تحمل من الدلالات الكثير، وذكر علماء اللغة أنّ له معاني متعددة تبعاً لتفعيلاتها الصرفية. فقد جاء في صحاح الجوهري، ما يلي: "المحاورة المجاوبة. والتحاور: التجاوب. ويقال: كلمته فما أحار إلي جوابا، وما رجع إلي حويرا، ولا حويرة، ولا محورة، ولا حِوارا. (بفتح الحاء وكسرها). أي ما رد جوابا". [21]

وفي لسان العرب: أن الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإِلى الشيء، يقال حارَ إِلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً رجع عنه وإِليه. وكل شيء تغير من حال إلى حال، فقد حارَ يْحُور حَوْراً.[22]

وأشار ابن فارس بأنه: "وكلمته فما رجع إلي حَوارا ومحوارة[23].

ويتضح من خلال ما تقدم أن كلمة الحوار تدور حول المعاني الآتية: [24]

1- الرجوع إلى الشيء وعن الشيء، والمتحاورون قد يرجع أحدهم إلى رأي الآخر أو قوله أو فكره رغبة في الوصول إلى الصواب والحقيقة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ (الانشقاق: 14) أي لن يرجع مبعوثاً يوم القيامة.

2- التحول من حال إلى حال، فالمحاور يتنقل في حواره من حالة إلى أخرى، فمرة يكون مستفسراً، وأخرى يكون مبرهناً، وثالثة يكون مفنداً، وهكذا.

3- الإجابة والرد، وهو قريب من المعنى الاصطلاحي للحوار؛ لأن كلاً من طرفي التحاور يهتم بالإجابة عن أسئلة صاحبه، ويقدم مجموعة من الردود على أدلته وبراهينه.

4- الاستنطاق ومراجعة الحديث، فكل واحد من المتحاورين يستنطق صاحبه ويراجع الحديث معه لغرض الوصول إلى هدفه وقصده.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- النقاء والتخلص من العيوب، والواقع أن طبيعة الحوار والمناقشة تؤدي بالنتيجة إلى التخلص من العيوب الفكرية، من خلال طرح الأفكار المتعددة واختيار الراجح منها.

وفي القرآن الكريم لم يرد لفظ الحوار، وإنما ورد الفعل "حاور" والمصدر "التحاور" ثلاث مرات، وذلك في الآيات الكريمات:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثمرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾. الكهف: 34، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾. الكهف: 36، وقوله تعالى: ﴿قدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى الله وَالله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. المجادلة: 1. أما كلمة "الحوار" فهي أوسع مدلولاً من كلمة الجدل، باعتبار تضمُّن الجدل معنى الصراع، بينما نجد الحوار يتسع له ولغيره، مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب.

ج- **الحوار في الاصطلاح:**

وبعد هذا العرض للمدلول اللغوي يمكن أن نحدد المعنى الاصطلاحي للحوار بأنه: "نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.

وقيل: هو مناقشة بين شخصين أو مجموعتين -أو أشخاص أو مجموعات- بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي. ويمكن أن نقرر أيضاً أنَّ متعة الحوار لا تتأتى من الإجماع بل من الإثراءات التي لا تنتهي.[(25)] لأنه يفتح أبواباً مشرعة على معارف ومفاهيم لم يكن من اليسير الوصول إليها من دونه، لأننا نتحدث هنا عن حواري عميق يمتاز بالعقلانية والمقصدية، وليس حوار عابرا ينتهي بانتهاء ظروفه ومناسبته.

وبعد هذا العرض الذي قدمناه لمدلولات المصطلحات المتداخلة "الجدل -والمناظرة- والحوار" يتضح لنا أن الحوار وإن كان مناوبة الحديث بين طرفين إلا أنه لا يشتمل على الخصومة والمنازعة والمراء كما هو الجدل، وإنما هو أداة أسلوبية تستخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات المتخصصة في حقل من حقول العلم والمعرفة أو جانب من جوانب الفكر والعقيدة، للوصول إلى حقيقة معينة بهذا الشكل من أشكال الأسلوب والمحادثة، وهو عملية تتضمن "عرضاً" من جهة، يتمثله "الآخر" ويجيب عليه فيحدث "تجاوب" يولّد عند كل منهما "مراجعة" لما عرضه "الآخر"، وهذه العملية هي التي يطلق عليها الحوار أو المحاورة.[(26)]

وإذا ما سلمنا بأنَّ الحجاج هو حوار علمي بعيد عن العنف[(27)]، فإنَّ القرآن الكريم هو المكان الأمثل الذي تتحاور فيه الذوات وتتجادل ويُحاجّ بعضها بعضاً[(28)]. لأنَّ الحوار فيه يسعى إلى هدف محدد، يكتسب قيمة عليا تتعلق بها حياة الناس في الدنيا، ومصيرهم بعد مغادرتها،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحمل المخاطبين على الإيمان بالله الواحد الأحد، وبالحياة الأخرى للبشر، وهي المفاهيم الأساسية لكلِّ الرسالة السماوية، وسمو هذا الهدف وخطورته تصبغ الحوار بصبغة خاصة من الأهمية، تنعكس على مضامينه وطرائقه.

أنماط الحوار في سورة الزُخرف

تتنوع أنماط الحوار في القرآن الكريم، تبعاً لتنوع الأشخاص أو الفئات التي يجري التحاور معها، وبالضرورة فأنَّ لكلِّ نمط منها خصائصه التي تلائم مستوى المُحَاور، وطبيعة الحجج التي يطرحها بالضد من دعوات الأنبياء والمفاهيم التي ينادون بها. وقد رصدنا في سورة الزخرف أنماط عدة من الحوار الحِجاجي سنبينه في الآتي:

أ-الحوار بين الله تعالى والمشركين:

بما أنَّ الطبيعة الحوارية حاضرة في السور المكية - كما أسلفنا – فإننا سنلاحظ استعمالاً مكثفا لهذا الأسلوب في سورة الزخرف، ولاسيما مع المشركين الذي أطال القرآن الكريم الحوار معهم في الحقبة المكية، راداً ومفندا كل افتراءاتهم وادعاءاتهم وحتى تجاوزاتهم على رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم).

بدأ سبحانه السورة الكريمة بقسم يؤكد فيه عربية القرآن وعلويته بقوله: {حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ(4)﴾ "أي أنزلناه بلغة العرب، مشتملاً على كمال الفصاحة والبلاغة، بأسلوب محكم، وبين معجز، ... لكي تفهموا أحكامه، وتتدبروا معانيه، وتعقلوا أن أسلوبه الحكيم، خارج عن طوق البشر"[(29)]. وتأكيده سبحانه على أنَّ القرآن الكريم إنما نزل بلغة العرب ٬ لا يتضمن إشادة بتلك اللغة، بقدر اتخاذه وسيلة حجاجية، لأن نزول الكتاب المقدس بلغتهم لا يترك مجالاً لهم لإنكاره أو لدعوة عدم استيعابه. وبحسب ابن كثير أن قوله سبحانه: ﴿وإنه لعلي حكيم﴾ يبين شرف القرآن في الملأ الإعلى، ليشرفه ويعظمه أهل الأرض[(30)].

واستثمار منطق الحجاج يتواصل في تأكيد أن إعراض المشركين لن يكون سبباً في تركهم وعدم تبليغ الرسالة السماوية لهم، فقال سبحانه: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (5) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (6) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (7) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (8)﴾ فالرسالة التي أوصلها سبحانه إلى المشركين هي أن أمره نافد وإرادته كائنة لا محالة، فمهما كانت قوتهم ومنعتهم فلن يكونوا أشد قوة من أقوام أخرى عارضوا رسائل الأنبياء وأذوهم وصلبوهم أحياناً.

وقد وظِف الاستفهام الإنكاري هنا توظيفا يدل على أن ترك الدعوة وتكرارها على المشركين مهما أعرضوا أمر لن يحصل لأنه مخالف لسنن الخالق في خلقه. وسبحانه يسلي نبيه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هنا بأن ما حصل له قد حصل لغيره من الأنبياء والرسل. قال الفخر الرازي: "إنَّ كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب، مسلك من كان قبلهم، فليحذروا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك"[31]

ويتجه الحجاج هنا إلى فطرة الإنسان، التي ترشده دائما إلى الإيمان بالله سبحانه، وبأنه هو خالق السموات والأرض وما فيهن، في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (9")وهنا يستثمر سبحانه تلك الحقيقة التي لا ينكرها حتى المشركون؛ ليّذكر بنعمه سبحانه على الخلق، وهي نعم ظاهرة بيِّنة ينعم بها الإنسان كل يوم، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ(14)﴾ ويرى البيضاوي أنَّ: "ليس المراد من ذكر النعمة تصورها وإخطارها في البال، بل المراد تذكر أنها نعمة حاصلة بتدبير القادر العليم الحكيم، مستدعية لطاعته وشكره، فإنَّ من تفكَّر في أنَّ ما يركبه الإنسان من الفُلك والأنعام، أكثر قوةً، وأكبر جثةً من راكبه، ومع ذلك كان مسخراً لراكبه، يتمكن من تصريفه إلى أي جانب شاء، وتفكَّر أيضا في خلق البحر والريح، وفي كونهما مسخرين للإنسان مع ما فيهما من المهابة والأهوال، استغرق في معرفة عظمة الله تعالى وكبريائه، وكمال قدرته وحكمته، فيحمله ذلك الاستغراق على أن يقول متعجباً من عظمة الله: ﴿سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾[32].

وفي المقطع التالي من السورة الكريمة يتجسد لنا نوع آخر من الحوار الحجاجي، وهو الحوار المستند إلى محاور غائب، لكنه مفترض الوجود، ويبدو حضوره جلياً من طريق الحجج التي يفند بها سبحانه مقولاتهم الواهمة، قال سبحانه: ﴿وجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (15) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (16)﴾ فهنا أورد سبحانه واحدة من افتراءات المشركين، بأن جعلوا لله ولداً، : "حيث قالوا الملائكة بنات الله"[33]، وهنا يحاججهم الله سبحانه بمنطقهم، إذ كيف يجعلون لله مولوداً أنثى، وهم في أعرافهم الجاهلية يعدون الأنثى من المخلوقات الناقصة، التي قد تجلب العار لأبيها، وهو منطق بيّن الفساد، لكن منطق الحوار هو أن تلزم الخصم بما ألزم نفسه به، فيقول سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (17)﴾ وهنا حجة على الخصم كيف تنسبون لله شيئا أنتم تنفرون منه، وتحزنون أشد الحزن لوقوعه، بالنظر إلى الصفات السلبية التي ينسبونها للمرأة، والتي منها ما ذكرها سبحانه بقوله: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُبِينٍ (18) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (19)﴾ أي يجعلون لله من يربَّى في الزينة وينشأ ويكبر عليها وهنَّ الإناث، أو من هو في الجدال غير مظهر لحجته[34]. وعدم قدرة الإناث على الجدال وإظهار الحجة ليس أمراً يتصل بتكوينها الجسدي أو العقلي، وإنما يرتبط بالسبب الذي ذكره سبحانه، وهو طبيعة نشأة المرأة والبيئة التي تعيش فيها، ولاسيما في عصر التنزيل وفي المجتمعات البدوية تحديدا، فهي بيئة تربي المرأة لتكون جليسة الخدر ومهيئة لكلِّ أعمال الزوجية التي تتطلب دفقاً من الحنان والعاطفة، فيكون - والأمر كذلك - من الصعوبة عليها التصدي لمحافل الجدال والمناظرة.

وهنا يأتي المشركون بحجة يظنون أنها مفحمة، فيعبر القرآن الكريم على لسانهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (20)﴾ أي قالوا على سبيل السخرية والاستهزاء: لو شاء الله ما عبدنا هؤلاء الملائكة ولا الأصنام، ولمَّا كانت عبادتنا واقعة بمشيئته، فهو راضٍ بها. وتلك حجة داحضة عقلاً؛ لأنهم من جهة يشركون بالله، ومن جهة أخرى يريدون الإيحاء بأنَّهم مسلمون لمشيئة الله، التي شاءت أن يكونوا بهذا المعسكر، وهذا ينم عن جهل مركب، لهذا أكد سبحانه بانَّ: ﴿ما لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

وتأكيداً لجهلهم يشير سبحانه إلى أنَّ لا سندَ علمياً لكلامهم فيقول: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (21)﴾ فذلك دليل آخر على ضلالة دعواهم، التي كشف عنها تعالى في الآية التالية على لسانهم بقوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22)﴾ إذن هو الانغلاق الفكري ومتابعة الأسلاف في معتقداتهم، حتى لو كانت باطلة، فهم: "لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية على ما زعموا"[35].

ولكن تلك الحجة ليست بغريبة، فطالما جُوبه الرسل والأنبياء بمثلها، إذ يقول سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ(23)﴾ "وإنما خصَّص المترفين بالذكر، للإشعار بأنَّ التنعم وحبَّ البطالة، صرفهم عن النظر إلى التقليد الأعمى"[36].

وعلى الرغم من سفاهة الحجة، لكنَّ المنهج القرآني لا يترك باباً للحوار إلا طرقه، فآثار الآباء قد تتبع إذا كانت هي الطريقة المثلى التي لا بديل عنها، لكنه سبحانه يعرض طريقة أكثر هدى واستقامة، فيقول: ﴿قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (24) ﴾، ونلاحظ أنَّ الحوار بينه سبحانه وبين المشركين، قد انتقل إلى طريقة الحوار بالواسطة، أي الذي يجري من طريق الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) بالصيغة النحوية (قال)، مع أنَّ الحوارات الأخرى كانت أيضا بالواسطة لكنها بالواسطة النقلية وليست اللغوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والانتقام الإلهي ليس فعلاً قهرياً يفرض على المشرك أو الكافر فحسب، إنَّما هو وسيلة حجاجية تعضد كلما ذكر من حوار؛ لأنه يعطي أرجحاية معنوية ليس استناداً إلى فعلا آني، بل بالرجوع إلى أفعال تاريخية حلت بالأقوام التي كانت مواقفها شبيه بمواقف المُتحَاور معهم، لهذا ختم سبحانه هذا المقطع بقوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (25)﴾.

وفي الآخرة ينشأ حوار جديد، بين أصحاب النار أولئك وبين مالك خازن النار: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77)﴾ والمراد بالقضاء عليهم إماتتهم، ويريدون بالموت الانعدام والبطلان؛ لينجوا بذلك مما هم فيه من الشقوة وأليم العذاب، فيسألون الموت بالمعنى الذي ارتكز في نفوسهم وإلاَّ فهم قد ماتوا وشاهدوا ما حقيقته[37]. وجاء جواب مالك قاطعاً بأنكم مقيمون في العذاب أبداً، بحجة دامغة لا يستطيع أصحاب النار معها جواباً ودحضاً، بقوله: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (78)، ويرى الرازي أنَّ هذا كالعلة لما ذُكر، والمراد نفرتهم عن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وعن القرآن، وشدة بغضهم للدين الحق[38].

ب-الحوار بين إبراهيم (عليه السلام) وقومه:

في المقطع التالي ينقل القرآن الكريم حواراً بين إبراهيم (عليه السلام) وقومه، يبّين إعراضهم عن دعوته، وعنادهم في قبولها أو حتى سماعها، تسلية للرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وسلم) وتثبيتاً لقلبه أمام المصاعب التي واجهته في الدعوة إلى الإسلام، إذ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27)﴾ وما قاله إبراهيم (عليه السلام) هو النتيجة النهائية التي استخلصها من الحوار مع قومه، وهي البراءة من الأوثان التي يعبدونها، والتوجه إلى عبادة الله الواحد الأحد، لأنه مصدر الهداية والخلاص، وقد كافئه الله بأن جعل كلمة التوحيد التي تمسك بها ودافع عنها، باقية في ذرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿وجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28)﴾، وهذا الحوار هو جزء من المحاججة مع مشركي قريش، من طريق تقوية طرف الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم)، بإيراد قصص الأنبياء التي لا يعلمون عنها شيئا، وهي إحدى أوجه التحدي.

ويرتبط بحوار إبراهيم (عليه السلام) مع قومه ما يلي من آيات، على الرغم أنَّ الخطاب سينتقل إلى المشركين مرةً أخرى؛ لأنَّ: ﴿أهل مكة وآباءهم... هم من نسل إبراهيم﴾[39]، فيقول سبحانه: ﴿بلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآَبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (29)﴾، فالقوم أبناء القوم، وقد عوَّلوا أيضاً على تقليد الآباء، ولم يتفكروا في الحجة، واغتروا بطول الإمهال، وإمتاع الله إياهم بنعيم الدنيا، فأعرضوا عن الحق[40]. فيقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (30)﴾وتلك حجة القوم لمعارضة النص المقدس لمَّا عجزوا عن مجاراته، لكنهم يعلمون أن تلك حجة قصيرة الأمد، ولن تصمد طويلا أمام الحقائق التي سيذكرها القرآن، فكان لابد من البحث عن حجة أخرى، وظنوا أنهم وجدوها كما ذكر القرآن على لسانهم: ﴿وقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ(31)﴾ أي نحن مستعدون لقبول الدعوة لو أنَّ القرآن نزل على أحد عظماء العرب؛ لأن مفهوم العظمة لديهم يرتبط بالقابليات المادية، التي هي مدى إدراكهم، وغاية مطلوبهم من الدنيا. لكنَّ المنطق الإلهي يختلف جذرياً عن ذلك، فسبحانه ينزل رحمته على من يمثل الصفاء النفسي الأكمل، وهو سبحانه من يقسم أرزاق الناس، ويضع منازلهم في الدنيا، فقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾ فالله بحكمته يقسم الأرزاق، فجعل هذا غنياً وهذا فقيراً، وبنحو أولى فهو سبحانه من يتولى أمر النبوة ولا يتركه لأهواء المشركين[41].

ومن هوان الدنيا على الله، أنَّه لولا الفتنة لجعلها سبحانه خالصة للكافرين، فجعل بيوت الكفار، ودَرَجها وسقوفها من ذهب وفضة؛ وأعطى الكافر كلَّ ذلك النعيم في الدنيا، لعدم حظه في الآخرة، فقال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35)﴾، ولكنَّ الله رحيم بالعباد، فلذلك أغنى بعض الكفار وأفقر بعضهم، وأغنى بعض المؤمنين وأفقر بعضهم؛ لأن التوسعة على المؤمنين فقط فيه مفسدة أيضاً؛ لما تؤدي إليها من دخول الناس في الإسلام لأجل الدنيا. [42] وتلك حجة بأن النبوة ليست منصباً دنيوياً حتى يختص بمن يظنونه عظيماً فيها، فأيسر شيء عند الله أن يغدق الأموال على الناس برهم وفاجرهم، لكنَّ من يختاره ليكون رسوله إلى البشرية، فذلك يمتلك من المؤهلات ما لا يحيط بها إلا خالقه، وهي من شواهد الرحمة الكبرى لعباده.

لكنَّ تلك الأموال قد تكون مدخلاً لانحرافهم عن الطريق السوي، وقد تجعلهم في أحضان الشيطان، يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ(36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37)﴾ أي من يعرض عن القرآن وعبادة الرحمن نهئ له شيطاناً، لا ينفك عن الوسوسة له والإغواء، وأن الشياطين يصدون هؤلاء الكفار عن أي اتجاه يوصلهم للهدى[43].

وهنا ينشأ حوار من نوع جديد، بين الكافر وقرينه، يمثله القرآن بقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (38)﴾ أي ياليت بيني وبينك مثل ما بين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المشرق والمغرب من البعد، وقد قال المشرقين من باب التغليب. [44] ويأتي خطاب الربِّ ليؤكد للمشركين أن اشتراكهم في العذاب لن يخفف عنهم منه شيئا: "ولا يجدون راحة التأسي، التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل ما أصابه"[45] بقوله: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (39)﴾.

ويعود الحوار مرة أخرى بين الله سبحانه وبين رسوله، مهوناً عليه ما يلاقي من عنت المشركين والكافرين؛ لأنهم كالصُّم والعُمي، الذي لا يسمعون ولا يرون الحق: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (40")لكن يأيها النبي لا تحزن فإنَّ الله منتقم منهم عاجلاً أو آجلاً: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (41) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (42)﴾ أي في حياتك أو بعد مماتك.

ولا يضرنك إعراضهم عن التمسك بما أنزلنا إليك؛ لأن الحق من ربّك وهو شرف لك ولقومك، سوف تسألون عنه في الآخرة؛ لأن عبادة الله الواحد الأحد هي هدف كلِّ الأنبياء الذين أرسلنا من قبلك، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (43) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (44) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (45)﴾فهذا الكتاب حجتك الكبرى على المشركين والكافرين، فهو ينبئ عن منزله بكلِّ حرف من حروفه.

ج- الحوار بين موسى (عليه السلام) وفرعون:

ذكر الله تعالى قصة موسى مع فرعون في هذه السورة الكريمة؛ ليشير إلى أنَّ منطق العناد والطغيان واحد، فكما رفضت قريش بنبوة ومحمد (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنه فقير الحال ʼ وتمنت نزول الدعوة على رجل عظيم من إحدى القريتين، فقد سبقهم فرعون إلى مثل ذلك، متجبراً بماله وسلطانه، رافضاً قبول دعوة موسى بحجة أنَّه أكثر مالاً وجاهاً منه.

وتنطوي تلك القصة على حوار بين موسى (عليه السلام) وفرعون، قرعت فيها الحجة بالحجة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (46) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (47) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (48)﴾، إذ بدأ الحوار بين الطرفين بقول موسى (عليه السلام): إني رسول ربِّ العالمين، عارضاً دعوته بهدوء وثقة وطمأنينة أغدقها الله سبحانه عليه. لكن ردّ فرعون وملائه كان قاسياً، على الرغم من أنه لم يتضمن كلاماً صريحاً، فقد كان استفزازاً من طريق السخرية المشفوعة بضحك، يوحي للأخر أنَّ دعوته لا تستحق الرد، وتلك حجة مؤثرة مع أنها لا تتضمن دليلاً عقلياً أو نقلياً. وكان الرد من طرف موسى (عليه السلام)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعداً إلهياً بالنصر من طريق الآيات المتتالية، التي أيد بها نبيه: "كالطوفان، والجراد، والقُمَّل"[46]، وكلّ آية أكبر من أختها.

فلمَّ رأوا العذاب الذي أنزله الله عليهم، قالوا يا موسى يأيها الساحر، أدعوا لنا ربَّ ليكشف عنا العذاب، وسنؤمن بك وبرسالتك: ﴿وقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (49)﴾، "وقال المفسرون: ليس قولهم (يا أيها الساحر) على سبيل الانتقاص، وإنما هو تعظيم في زعمهم؛ لأنَّ السحر كان عِلم زمانهم"[47] لكن الأقوام المعاندة للحق كعادتها، لا تفي بوعودها: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (50)﴾.

حوار جديد يجري بين فرعون وقومه، تحضيرا وتحريضا لهم للانقضاض على دعوة موسى (عليه السلام): ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51)﴾ وهنا يريد فرعون أن يذكر "رؤساء القبط وعظماءهم" [48] بملكه العظيم وبسطوته التي شملت كلَّ أرجاء مصر، وهذا التذكير ليس مقصوداً لذاته فرؤساء القبط يعلمون مقدار ملك فرعون؛ لكنه أراد أن يتخذ هذا التذكير حجة لرفض دعوة موسى (عليه السلام) وهو ما عبر عنه بقوله – كما نقل عنه القرآن – ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52")أي كيف يمكن أن أذعن لدعوة شخص ضعيف: "لا عزَّ له ولا جاه ولا سلطان" [49].

ثم يعرض نفسه بمعرض المستعد لقبول الدعوة، لو أنَّها جاءت من رجل تبدو عليه أمارات الملك، أو أنَّه مؤيد بحضور الملائكة معه: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53)" وهي حجة تدلل على استخفافه بعقول قومه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54)﴾ لأن حججه التي ساقها لإبطال دعوة موسى (عليه السلام) ونبوته مخالفة للعقل ولمنطق الأشياء؛ فهم يعلمون قبل غيرهم أنَّ صدق الإنسان وروحانيته لا علاقة لهما بمقدار ماله أو جاهه، لكنَّ فرعون كان يعلم خفَّة عقولهم وفسقهم، فلم يجد حرجاً في إقناعهم بما يدَّعي.

والانتقام الإلهي يكون ردّاً على تجبر هؤلاء، لكنَّه إنذار لمن جاء بعدهم، وحجة تلزمهم بتصديق بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (56)﴾ أي جعلنا قوم فرعون سلفاً لكفَّار قريش يتقدمونهم إلى النار، وعظة وعبرة لمن يأتي بعدهم. [50] وتلك حجة نقلية تردع القوم وتحذرهم من مصير مماثل.

من حججه النقلية سبحانه كانت قصة عيسى (عليه السلام)، فهي مثالٌ على قدرته سبحانه على خلق ما يشاء وكيف يشاء، وهي أيضاً دليلٌ على انحراف من اتخذوه إلها يعبد من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دون الله. إلاّ أنهم سعوا إلى دحض تلك الحجة أيضاً، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58)﴾ أي اتخذوه حجةً على عبادة الأصنام، بدلاً من أن يكون لهم عبرةً وموعظةً لانحراف القوم، فقالوا إن كان النصارى يعبدون المسيح، واليهود يعبدون عزيراً، وبنو فلان يعبدون الملائكة، فإن كان كلُّ هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم[51]. وهو أمر اتخذوه من أجل الجدل الباطل؛ لأنهم يعرفون بطلانه، ويعرفون أنما عيسى عبد من عباد الله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59)﴾ أي "صيرناه عبرةً عجيبةً كالمثل السائر، حيث خلقناه من غير أبٍ كما خلقنا آدم"[52] وفي آخر السورة يبلغ الحجاج غايته القصوى، إذ يبلغ الله سبحانه رسوله أن يقول للمشركين أنَّه لو فُرض أنَّ لله ولد، لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (81)﴾، وهذا حجاج بيّن، كأنَّك تقول لمن تناظره: إن ثبت ما قلت بالدليل فأنا أول من يعتقده، مبالغة في الاستبعاد[53].

وجعل الخلافة في الأرض للملائكة ليس أمراً معجزاً لله، لكن كل شيء مرهون بمشيئته وحكمته: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60)﴾.

وحجيَّة نبي الله عيسى ستظل قائمة، فكما كان خلقه وولادته معجزين، سيسكون له ظهور معجز آخر عند قيام الساعة: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61)﴾ أي أنَّ خروج عيسى (عليه السلام) علامة على قرب الساعة؛ لأن الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة. [54]وما وعد خروج عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان إلاّ حجة على قومه، وعلى الأقوام التي تلتهم.

وقد ختم سبحانه هذا المقطع بالدعوة إلى عدم إتباع الشيطان، وتقوى الله وأطاعته، واتباع أمر الأنبياء ومنهم عيسى (عليه السلام)؛ لأنه جاءهم بالبينات التي لا تحتاج إلى برهان، متبعاً الحكمة في تبليغ رسالته، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (62) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (63) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (64)﴾.

أسلوبية الحوار في سورة الزُخرف

من المعايير التي تُكسب الحجاج قوته ونفاذه، السياق القولي والأسلوب البلاغي اللذان يقدمان فيهما، ويدخل في هذا أيضاً أنواع الصفات والأمثلة والنعوت والتأكيدات، وعناصر أسلوبية – بديعية وبيانية ومعنوية – وأدوات ربط وعطف... الخ، التي ينبغي أن يتضمنها الخطاب بوصفها موجهات تعبيرية ذات أثر حجاجي. فهذه المكونات البلاغية والأسلوبية داخلة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيضاً في آليات العرض الحجاجية التي يوليها بيرلمان أهمية كبيرة، إذ إنَّ لها أثراً كبيراً في تحقق القول فعلا على صعيد الواقع(55).

وليس معنى هذا الدعوة إلى الفصل بين المكونات الشكلية والمضمون، فبيرلمان يرى أنَّ البنى الأسلوبية لا يمكن أبداً فصلها عن أهدافها الحجاجية. وعلى المرسل إجادة اختيار الألفاظ المناسبة، والعدول عن الأخرى المنفرة الصادمة للوعي أو الشعور أو للحس المشترك، فانسجام المقال مع المقام شرط حجاجي جوهري(56).

ويعد أوليفيني روبول أنَّ كلَّ ما في الرسالة اللغوية المكتوبة والمسموعة والمرئية من وحدات تكوينية هي حجة في ذاتها، حتى الاستعارة التي هي استدلال قائم على المقايسة المكثفة، فالبلاغة لم تُعد لباساً خارجياً للحجاج بل إنَّها تنتمي إلى بنيته الخاصة(57).

ويقسِّم بيرلمان وزميله تيتيكا الموجهات التعبيرية إلى عدة أنواع أهمها:

1- التوجيه الإثباتي: الذي يصلح استعماله لكلِّ حجاج.

2- الموجِّه الإلزامي: الذي يُصاغ غالباً في الأسلوب الأمري، والشخصية الحجاجية لهذا الأسلوب لا تنبع من الصيغ التلفظية له، وإنَّما من مكانه المحاجج الآمر.

3- الموجِّه الاستفهامي: وشحنة الحجاجية فيه تنبع من مدى عمق السؤال المطروح وذكائه من جهة، والجواب المنتظر من جهة أخرى(58).

إذن يمكن أن نستنتج أنَّ النص الحجاجي لا مفرَّ له من الأسلوب؛ لأنه هو الذي يوفر للنص الطاقة الجمالية التي تحرك وجدان المتلقي وتوجهه إلى الفعل، فإذا صاحب هذا الأسلوب الممتع حجج متنوعة، وعلاقات تربط بدقة بين أجزاء الخطاب أمكن للمتكلم أن يحقق غايته من الخطاب، أي قيادة المتلقي إلى فكرة أو رأي معين(59).

أ-أسلوبية الكلمة:

نعني بأسلوبية الكلمة، الأثر الذي يترك استعمال مفردة معينة، مع إمكانية استعمال غيرها مكانها، وتبيان السبب الذي دعا إلى هذا الاستعمال، والأثر الدلالي الذي تركه على النص.

وفي سورة الزخرف مجموعة من الكلمات التي استعملت مكان كلمات أخرى مكررة في السورة نفسها أو في سور أخرى من القرآن الكريم، وهي تحمل بُعداً حجاجياً. ومنها:

1- مُهْتَدون ومُقْتَدون:

قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22)**﴾ وقال في الآية التالية من السورة نفسها ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23)**﴾، فاستعمل في الأولى (مُهْتَدون) وفي الأخرى (مُقْتَدون)، وخصَّ الأول بالاهتداء؛ لأنَّه كلام كفَّار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العرب في محاججتهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وادعائهم أنَّ آباءهم كانوا مهتدين، فهم مهتدون بزعمهم تبعاً لهم، ولهذا قال بعدها: ﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** (24)﴾. أما الآية الثانية فهي حكاية عمَّن كان قبلهم من الكفار، الذي ادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء، فاقتضت كلُّ آية ما ختمت به(60).

والحجاجية واضحة في الآية الأولى التي استعمل فيها سبحانه (مهتدون)؛ لأنَّ أوردا نوعا من الحجة لرد دعوة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم)، فقالوا محتجين: إذا كان هدفك الهداية، فإن ملة آبائنا تضمن لك ذلك بزعمهم، ولا يخفى أنها حجة باطلة، سعوا فيها تضليل أتباعهم.

2- **(العزيز العليم) ولفظ الجلالة (الله):**

قال تعالىفي بداية سورة الزُخرف: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** (9)﴾وقال فيآخرها: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** (87)﴾، إذ ذكر في الآية الأولى صفاته تعالى وهي: (العزيز العليم)، وفي الآية الثانية ذكر اسمه تعالى وهو: (الله)، الذي تفرد هو به بنفسه، والذي لا يمكن لمخلوق في الأرض ولا في السماء أن يُسمى به(61).

والفرق بين الاستعمالين أنَّ الله سبحانه قال في الآية الأولى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ وهو سؤال عن خلق السماوات والأرض، فجاء الجواب بالصفات ﴿العزيز العليم﴾؛ وذلك لأنَّ السورة في معرض تعريفهم بالله عزَّ وجل، وبصفاته في ضوء تصحيح عقائدهم الباطلة في عبادة الأصنام. والتعريف إنَّما يبدأ بالصفات وصولاً إلى الحقيقة، أي حقيقة الذات، وهكذا جاء السياق في الآية الأولى، وهو سياق تبيان الصفات الإلهية المناسبة لموضوع الآية، الذي جاء بياناً لخلق السماوات والأرض، وإظهاراً لقدرته وعظمته سبحانه، وعلمه بدقائق خلقه، فختمت بالعزيز العليم(62).

وقال في الآية الثانية: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ**﴾ وهو سؤال عن خلقهم، فاقتضى أن تكون الإجابة بذكر الذات (الله) وليس صفة من صفاته؛ لأنَّ الآية تهدف إلى بيان الوصول إلى الذات التي كانوا يجهلونها، واستبدلوا بها غيرها من آلهتهم الصماء؛ لذلك ختمت الآية بذكر لفظ الجلالة باسمه تعالى(63).

ونلاحظ أنَّ كلا الاستعمالين في كلتا الآيتين، جاء في سياق حجاجي، يناسب المقام المُتَحَدَث فيه، ففي الأولى جاء لمحاجتهم بأنَّ من يخلق هذا الخلق العظيم، وهو قطعا أعظم مما يعبدون من آلهة، فيما كان مقام الثانية هو إثبات وحدانيته سبحانه، فتطلب إثبات الحجة عليهم ذكر أعظم أسماء الخالق تعالى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- **(جعلناه) و (أنزلناه):**

يستعمل القرآن الكريم أحياناً صيغة في آية معينة، ثم يعدل إلى صيغة أخرى في مكان آخر، مع بقاء السياق من دون تغيير ولا تبديل.

من ذلك قوله تعالى في سورة الزُخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3)﴾ وقوله سبحانه في سورة يوسف: ﴿إِنَّا أنزلنَاهُ قُرآناً عَرَبِياً لعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾ [64]، فاستعمل مرةً الفعل (جعل)، وأخرى الفعل (أنزل).

والفرق بين الجعل والإنزال أنَّ الأول يعني الخلق أو التصيير، أما الثاني فهو يعني الانحطاط من علو[65]، وقد ناسب كل فعل السياق الذي ورد فيه في الآيتين الكريمتين. فالآية في سورة يوسف كانت توطئة لذكر قصصه (عليه السلام)، التي تثبت صدقيّة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، بأخبار القرآن عن الأمور الغيبية التي لم يكن تعرفها قريش، ناسب ذلك التحدي لفظ (الإنزال) الذي يشير إلى أنَّ مصدر هذا الكتاب هو الله سبحانه وتعالى، بما تضمنه الفعل من التعالي والعظمة الإلهيتين. في المقابل فإنَّ السياق في سورة الزخرف، كان سياقاً يعرض المتاعب والعقبات التي كانت تواجه الدعوة الإسلامية[66]، فكان لفظ (الجعل) المتضمن معنى القدرة على الخلق، مناسباً للحديث الحجاجي الذي يسعى لرد الإشكالات التي تواجه الدعوة.

4- (نبيّ) و (رسول):

قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (6) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (7)﴾، وقال سبحانه في سورة الحجر: ﴿ولقد أرسلنَا من قبلِكَ في شيعِ الأولين، وما يأتيهم من رسولٍ إلاَّ كانوا بهي ستهزءون﴾ [67]، فاستعمل في آية الزخرف (نبيّ)، وفي آية الحجر (رسول).

والفرق بين الاستعمالين أنَّه لما تقدم في آية الزخرف لفظ (كم) الخبرية وهي تفيد التكثير، ناسب ذلك ذكر ما يوحي إليه من نبي مرسل أو نبي غير مرسل، فورد هنا ما يعم الصنفين (عليهم السلام). أما آية الحجر فلم يرد فيها ولا قبلها ما يطلب به التكثير، مع ما تضمنت من قصد تأنيسه (صلى الله عليه وسلم)، وتسليته، فخُصت بالتعبير باسم الرسالة تسلية له عن قولهم: "إنَّك لمجنون" بما جرى للرسل قبله (صلى الله عليه وسلم) من مثل ذلك، ومن البيّن أنَّ موقع الرسل هنا أمكن في تسليته (عليه السلام)، فجاء كلٌّ على ما يجب من المناسبة[68].

والاستعمال الأول في سورة الزخرف (نبي) أدخل في الحجاج؛ لأنَّ تثبيت الرسالة وردَّ الشبهات التي تثار ضد الدعوة الإسلامية، استدعى المحاججة بكثرة الأنبياء والرسل الذين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعرضوا للاستهزاء من قومهم، فلم يفت ذلك في عضدهم، ولم يمنع إرسال المبشرين والمنذرين في كل زمان ومكان، فالحجة على الكافرين ثابتة راسخة بني الرحمة الذي لن تثنيه معرضتهم عن مواصلة الدعوة إلى الله.

5- (سلك) و (جعل):

قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10)﴾، وقال في سورة طه: ﴿الذي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ مَهداً وسَلَكَ لَكُم فيهَا سُبُلاً﴾، فاستعمل في الأولى (جعل)، وفي الثانية (سلك).

ويعود ذلك إلى اختصاص كلّ واحدة من العبارتين بموضعها؛ وذلك أنَّ آية (طه) مقصود بها التلطف بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى، على ما تقدم من أمره تعالى لموسى وهارون (عليهما السلام) في قوله: ﴿فقولا لهُ قولاً ليناً﴾ [69]، فلما بنى الكلام على هذا التلطف واللين والرفق في الدعاء، ناسب ذلك استعمال (سلك)، لما تدل عليه من اختيار سبحانه الطريق الواضح لعباده[70].

أما آية الزخرف فمبنية على توبيخ من كفر من العرب وتقريعهم وصد شبهاتهم، فعبَّر هنا بلفظ (جعل)؛ لأنه ينبىء عن معانٍ متعددة ومتغايرة، بحسب ما يقتضيه السياق في السورة، فالجعل الذي يشير إلى الخلق والاختراع يناسب مقام التحدي ورد الشبهات[71].

ولا يخفى أن استعمال (جعل) يناسب المغزى الحجاجي لسورة الزخرف؛ لأن التأكيد على قدرة الخالق في الإيجاد على غير مثال سابق، مما يفحم الخصوم ويبطل حججهم، التي حاولوا بها توهين أدلة القرآن الكريم.

6- (يخرُصُون) و (يظنون):

قال تعالى في سورة الزُخرف: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، وقال سبحانه في سورة الجاثية: ﴿ما هيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنيَا نَمُوتُ ونحيَا وما يُهلِكُنَا إلاَّ الدَّهرُ وما لهم بذلك من علمٍ إنْ هم إلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [72]. فذيّل الآية الأولى بقوله: ﴿إن هم إلاَّ يخرصُون﴾، وذيل الثانية بقوله: ﴿إن هم إلاَّ يَظُنُّون﴾.

وذلك يعود إلى أنَّ ما في آية الزُخرف متصل بقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا (19)﴾، والمعنى: أنَّهم قالوا: الملائكة بنات الله، وإنَّ الله قد شاء منا عبادتنا إياهم، وهذا جهل منهم وكذب، فقال سبحانه: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي يكذبون[73].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي آية الجاثية خلطوا الصدق بالكذب، فإنَّ قولهم: ﴿نموت ونحيى" صدق، والمعنى: يموت السلف ويحيى الخلف، والأمر كذلك إلى أن تقوم الساعة. وكذبوا في إنكارهم البعث وقولهم: ﴿ما يهلكنا إلاَّ الدهر﴾ ولهذا قال: ﴿إن هم إلاَّ يظنون﴾ أي هم شاكون فيما يقولون[74].

ومن الظاهر أنَّ المنطق الحجاجي استدعى في آية الزخرف استعمال عبارة قاطعة، تنفي إدعاء خطير، كان هدف المشركين من ورائه تقويض أسس الدعوة الجديدة، ؛ لذا كان الوصف بالكذب هو التعبير الأنسب للمقام، بخلاف آية الجاثية التي خلط فيها المشركون بعض المفاهيم الصحيحة بأخرى فاسدة.

7- (كفروا) و (ظلموا):

قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (65)﴾، وقال في سورة مريم: ﴿فاختَلَفَ الأحزَابُ من بينِهِم فَوَيلٌ للذّينَ كَفَرُوا من مشهَدِ يومٍ أليمٍ﴾ [75]، فاستعمل في الأولى (ظلموا) و (عذاب)، وفي الثانية (كفروا) و (مشهد).

ذكر الله الأحزاب في سورة (الزخرف) بصفتهم من الظلم اللازم لكفرهم؛ ليناسب ذلك ما تقدم من وهم من اعتمد غير الله سبحانه، والظلم هنا ظلم الكفر؛ لأنهم عبدوا عيسى ابن مريم (عليه السلام)[76]، ففي تلك الآية لم ينكروا عيسى، لكنهم بدل أن يصدقوه نبياً كما أرسله سبحانه، اتخذوه إلهاً، وهم بذلك ظلموا أنفسهم، وما وقعوا فيه انحراف عقدي يوجب العذاب الأليم يوم القيام، وهو ما أكدته الآية الكريمة في ذيلها.

وفي سورة مريم كان الحديث عن اختلاف الأحزاب في نبي الله عيسى (عليه السلام)، إذ قال بعضهم: هو الله، وبعضهم يقول: ابن الله، وبعضهم: ثالث ثلاثة، وقد وسمهم الله بالكفر الذي هو ضابط أقوالهم وأمُّ مرتكباتهم، وأخبر باستحقاق الويل لهم لكفرهم من شهود ذلك اليوم الفاضح لهم على رؤوس الأشهاد [77]، وهو ما ذيل به الآية الكريمة، فناسب بين مقدمة الآية وذيلها والغرض منها.

والحجاج في سورة الزخرف أقوى وأظهر؛ لأنه سبحانه وصف بالظلم من عبدوا غيره، وهو أدعى في المحاججة مع قريش من نعت هؤلاء بالكفر، كونهم لم يعترفوا بعد برسالة السماء، لذا كان الخطاب يشدد على أن في ذلك ضرر لأنفسهم أولاً، وهو أبلغ في الحجاج.

8- (بريء) و (براء):

ينوع القرآن الكريم في استعمال الصيغ اللغوية، بحسب ما يقتضيه المقام والسياق، وهو استعمال يتسم بالدقة العالية في مراعاة الفروق بين التراكيب.

من ذلك قوله تعالى في سورة الزُخرف على لسان إبراهيم (عليه السلام): ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وقوله في سورة الأنعام: ﴿قالَ ياقَومِ إنّي بَريءٌ ممَّا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تُشرِكُون﴾[78]، فاستعمل في الأولى (بريء)، وفي الثانية (براء)، فعدل من الصفة المشبهة إلى المصدر. والفرق بين المقامين، أنَّ إبراهيم (عليه السلام) في آية الإنعام في مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة، لا يعرف ربَّه على وجه التحقيق، فقد ظنَّ أنَّ الكوكب ربَّه، ثم القمر، ثم الشمس، ثم أعلن البراءة من كلِّ ذلك[79].

أما في الآية الثانية فهو في مقام التبليغ، فقد أصبح نبياً مرسلاً، فأعلن حربه على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه، فهناك فرق بين المقامين والبراءتين؛ ولذا قال في آية الإنعام (بريء) وفي آية الزُخرف (براء)؛ وذلك أنَّ (براء) أقوى من (بريء) فإنَّها بصفة المصدر الذي هو الحدث المجرد، فإنَّ قولك: (هو رجلٌ عدل) أبلغ من قولك: (هو رجلٌ عادل)؛ وذلك لأنَّ معناه أنَّه أصبح هو العدل، أي لكثرة ممارسته للعدل صار هو العدل نفسه[80].

ويبدو في سورة الزخرف أنَّ الاستشهاد بقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، وبراءته منهم، تلك البراءة القاطعة، هي حجة شديدة الوقع على مشركي قريش، نظراً لتشابه ظروف الدعوتين الإبراهيمية والمحمدية، من جهة إعراض القوم ورفضهم إجابة داعي الله.

ب-أسلوبية التراكيب:

نعني بأسلوبية التراكيب الطريقة الفنية التي جرى فيها توظيف الأساليب اللغوية ذات الطابع التركيبي، كالاستفهام، والأمر، والتوكيد، ومدى الإفادة منها في التوظيف الحجاجي للنص القرآني الكريم.

1-الاستفهام:

الاستفهام واحد من الأساليب التي تحظى باهتمام خاص في النظرية الحجاجية، بالنظر إلى أثره المهم في خلق حوار يستند إلى بنية لغوية تجبر الطرف المقابل على التسليم بها، في أثناء التبادل المعلوماتي لموضوع الحجاج.

ويولي بيرلمان أدوراً حجاجية لا يستهان بها للموجِّه الاستفهامي؛ لأن له في نظره أهمية بلاغية كبيرة. فالسؤال يفترض موضوعاً ما، وانطلاقاً منه يُتوقع أنَّ ثمة اتفاقاً بشأن وجود هذا الموضوع. كما أنَّ الإجابة على سؤال ما تعني التأكيد على هذا الاتفاق الضمني، فقد علمتنا الحوارات السقراطية مدى أهمية وخطورة هذه التقنية الحوارية[81].

وفي سورة الزخرف ورد أسلوب أُستعمل أسلوب الاستفهام بشكل مكثف، يظهر الوظيفة المهمة التي يضطلع بها في خدمة الغرض الرئيس للسورة، وهو محاجة مشركي قريش وبسط البراهين على صدق رسالة السماء وبطلان معتقداتهم المتوارثة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (5)**﴾، وهو استفهام يفيد الإنكار، سعى إلى تثبيت حقيقة أساسية ستكون مرتكز الحوار بينه سبحانه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبين مشركي قريش، وتلك الحقيقة هي أنَّ إسرافكم وطغيانكم وتماديكم لن يكون سبباً في منع إنزال القرآن عليكم، لأن الله تعالى يرسل أنبيائه حيث يكون الطغيان قد بلغ أوجه، لذا فإنَّ تمنيات القوم لن تجد طريقها للتحقق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ(9)﴾ يهدف الاستفهام إلى توجيه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) إلى جوهر الصراع الذي سيحتدم مع المشركين، فالصراع ليس من أجل إثبات وجود الله سبحانه، فهم يعترفون بذلك، إذا ما سألتهم، إنما الصراع في إثبات وحدانيته سبحانه لا شريك له.

واستعمل سبحانه أسلوب الإضراب، الذي يستبطن استفهاماً تهكمياً من العقلية التي يتحاور بها المشركون مع الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، محاولين إثبات مفاهيم مغلوطة، يتعاملون معها على أنها حقائق، في قوله: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ(16)﴾.

ولم يكتفوا بأن جعلوا لله ولداً ومن الإناث أيضاً، بل زادوا في ذلك أنهم جعلوا الملائكة إناثا كذلك، وهنا جاء الاستفهام التعجبي مناسباً لتلك الادعاءات التي تفتقر إلى البينة، فكيف يقررون أمراً لم يشهدوا خلقه، وليس لهم اطلاع على حقيقته، إلا رجماً بالغيب، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ(19)﴾.

ثم يأتي السؤال الضمني لتثبيت حقيقة أخرى، هي ضلالة المشركين وجهلهم، فهم لا يملكون مصدراً للمعرفة وللهداية ' قبل نزول القرآن الكريم، فما هم فيه هو جدل فارغ لا مستند واقعياً له، قال سبحانه: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (21)﴾. لكنَّ العقلية الجاهلة واحدة في كلِّ الأزمان والأمكنة إنَّها تستند إلى ما توارثته من عقائد ومعارف عن أسلافها: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (24)﴾فأمر الهداية لا يعنيهم في شيء، فالدفاع عن المصالح الدنيوية هو الهدف الأهم، فالاستفهام يقرر واقعاً معلوماً له سبحانه.

ويتواصل الاستفهام التعجبي؛ بوصفه الأسلوب الأنسب لوصف حجج هؤلاء القوم الجاحدين، فقال سبحانه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾كيف يدَّعون أمراًهم مفتقرون إليه بالأساس، فالله سبحانه يخصُّ برحمته من يشاء من عباده، وهؤلاء المحاججون إنَّما يحيون برزق الله وأنعامه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويأتي هنا الاستفهام التعجيزي ليؤكد للرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) أنَّ الحوار مع المشركين قد وصل إلى طريق مسدود؛ لأنهم كالصم لا يسمعون، وكالعُمي لا يبصرون الحق: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (40)﴾.

ويحدث الاستفهام التقريري أثراً مهماً في بيان تجبر فرعون، واستهانته بقومه، واطمئنانه إلى طاعتهم: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51)﴾

ونلاحظ في كلِّ ما تقدم التوظيف الحجاجي للاستفهام، وهو توظيف يظهر أثر هذا الأسلوب في تثبيت الحقائق، ورد حجج الخصوم، من طريق خلق حوارات مباشرة أو افتراضية في غالب الأحيان، تنقل القارئ أو المستمع إلى فضاء الحدث وحيثياته الزمانية والمكانية.

2 -**الأمر:**

الأمر واحد من الأساليب التي تكسب العملية الحجاجية صبغتها المنطقية؛ كونه يتيح للمحاور إمكانية مباغتة الخصم، من طريق أوامر تتضمن أدلة مفحمة، أو طلبات معجزة، فالأمر سواء أكان حقيقياً أم مجازياً يسعى إلى هدف أبعد من إلزام السامع بالقيام بعمل معين، إنه يستبطن حث المقابل على التسليم بأدلة المتكلم، الذي يطمح باستعمال الأمر إلى إفراغ أدلة خصمه من محتواها، بالطلب المتواصل منه بإثباتها والبرهنة على صحتها.

ومن الأوامر الحقيقية التي وظفت حجاجياً قوله تعالى: ﴿**فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** (25)﴾ إذ استهدف فعل الأمر تبيان عاقبة المكذبين للدعوة، وهو ضغط نفسي يمارس على المشركين يذكرهم بعاقبة أمرهم، وإن كانوا غير مؤمنين بالعودة لكن فطرة الإنسان تدفعه دائما للتفكير لحياته مع بعد الموت، وهو من المعلومات الضاغطة عليه. ويرتبط بما تقدم حث الرسول الأكرم على التمسك بنهج الرسالة؛ كونه طريق الحق الموصل إلى الخلاص: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** (43)﴾.

وتنحو الآيات التالية المنحى نفسه الذي يدعو إلى تصديق الرسالة المحمدية، والتسليم لأمر الله سبحانه، ومحاربة الشيطان؛ لأنه عدوٌ للإنسان، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61)﴾ وهو أمر لترك الحديث بأمر عيسى (عليه السلام) لأنه من علامات الساعة[82]، وقوله: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(62)﴾، وقوله في وصف خاتمة المؤمنين: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70)﴾.

ويأتي التوجيه الإلهي للرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) ليحاجج المشركين بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (81)﴾، ويختم سبحانه السورة الكريمة

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

بدعوة إلى الصفح عنهم، وهو أمر حقيقي يستبطن التهديد: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (89)﴾.

أما الأمر المجازي فقد وظف لأغراض تناسب المقصد العام للسورة الكريمة، ففي قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آَلِهَةً يُعْبَدُونَ (45)﴾ يأمر الله سبحانه رسوله الكريم بسؤال من سبقه من الأنبياء (عليهم السلام) إن كان سبحانه قد سمح لأحد من خلقة بعبادة سواه، ووهو أمر وإن كان ظاهره حقيقي لكن باطنه مجازي؛ لأن الرسول الأكرم لم يلتقِ بالرسل من قبله لسؤالهم، لذا فقد جاء الأمر هنا على سبيل التقرير في إطار المحاججة القائمة بين الله ورسوله من جهة والمشركين من جهة أخرى.

وفي قصة موسى (عليه السلام) يخرج الأمر إلى معنى الالتماس، بأن يدعو لهم الله ليغفر لهم ويتقبل توبتهم: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (49)﴾.

ثم يأتي النداء من أصحاب النار، حاملاً كلَّ عذابات الكافرين والمذنبين، التي يعرضها سبحانه بصورة تبلغ الغاية القصوى من التعبير المظهر لحال هؤلاء، الذين أصبح الموت لديهم أمنية لا تدرك: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77)﴾ وهو أمر خرج لمعنى التمني، أي الأمر الذي لا يرجى حصوله، وتلك صورة تدخل ضمن السجال النفسي المسلط على المشركين، فهي تخبره بالمصير المحتوم لمن يتمرد على إرادة الله سبحانه ورسوله الكريم، الذي عضده بأمر خرج مجازاً لمعنى التهديد بقوله سبحانه: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83)﴾.

3-**التوكيد:**

من الواضح أنَّ الحوار الحجاجي بما يتضمنه من قرع الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، والبرهان بالبرهان، يستدعي – ضمن ما يستدعيه من بنىً لغوية – استعمال التوكيد بوصفه أسلوباً لابدَّ منه لتثبيت المفاهيم والرؤى التي يدافع عنها كلُّ طرف بعدِّها حقائق ثابتة لديه. والقرآن عموماً حافل بهذا الأسلوب الذي ينسجم مع طبيعة المعركة الفكرية التي كان يديرها مع المشركين والمعاندين، لذا فإنَّ سورة الزُخرف بما انطوت عليه من حوارات عقدية استعملت هذا الأسلوب لتعضيد الأطروحات الإلهية المنزَّلة على رسوله الكريم. من ذلك قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿**وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ** (14)﴾ وقوله في سورة الشعراء: ﴿إنَّا إلى رَبِّنا مُنقَلِبُونَ﴾[83] إذ استعمل سبحانه (اللام) التي تفيد التوكيد في الأولى، ولم يستعملها في الثانية مع أنَّ التعبير واحد. وذلك أنَّه لما كان قول السحرة: ﴿لا ضَيرَ إنَّا إلى ربِنَا مُنقَلِبُونَ" جواباً لفرعون لما توعدهم بقوله: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُم وأرجُلَكُم من خِلَافٍ ولأُصَلِّبَنَّكُم أجمَعِينَ"[84] فجاوبوه بقولهم ﴿لا ضير﴾-أي لا ضرر- ﴿إنَّا إلى ربنا منقلبون﴾، بمعنى: إذا فعلت بنا ذلك فإنَّا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منقلبون إلى ربنا ومجازون على صبرنا، فجاوبوه معزين أنفسهم بما ينتظرهم من الثواب وعظيم الجزاء، بسبقهم إلى الإيمان وصبرهم على ذلك الامتحان، فليس الموضع موضع قسم ولا تأكيد، بل هو إخبار عن رجائهم وما ينتظرونه ثواباً على إيمانهم، فلا مدخل للام التأكيد هنا [85].

وأما آية الزخرف فمبنية على ما تقدمها من الإخبار عن مشركي العرب في قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (9)**﴾ والمراد بذلك إقامة الحجة عليهم في إنكار البعث، فطابق ذلك وناسبه تأكيد قول المؤمنين المقول لهم: ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (14)**﴾ فأكد هذا وضمن معنى القسم، وأحرز ذلك تقديم ما النافية في قولهم: ﴿وما كنا له مقرنين" فوطأت ما في هذه الجملة من معنى القسم وأشعرت به، ثم جيء بالجملة مؤكدة بحرفي التأكيد وهما (إن واللام) فدخلت (إن) على الاسم و (اللام) على الخبر، لما تقدم منهم إنكار البعث جاوبهم المؤمنون، فكأنهم قالوا: والله إنَّه لحق، فسوغ دخول (اللام) ما قصد من هذا الغرض [86].

ومن أساليب التوكيد استعمال ضمير الفصل (هو) في سورة الزخرف بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (64)**﴾، في حين جاء التعبير نفسه في سورة مريم خالياً من ضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ [87]. وذلك يعود إلى التدرج بالدعوة الذي اتبعه نبي الله عيسى (عليه السلام)، والذي عبَّر عنه القرآن في سورة مريم بلا مؤكدات، لانَّ السورة كانت تحكي قصة نشوء النبي وأمر قومه بالتوحيد، لكنه في سورة الزخرف قد أصبح نبياً مكلفاً شرعا بأمر قومه بأداء كل التعاليم السماوية فاحتاج ذل إلى استعمال ضمير الفصل للتوكيد [88]. وهو ما ينسجم مع الإطار الحجاجي العام الذي انتهجته سورة الزخرف.

ومن التوكيد أيضاً استعمال الحرف الزائد في قوله تعالى في سورة (الزخرف): ﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (20)**﴾، وعدم استعماله في سورة (الحج) مع تقارب التعبير في كليهما، إذ قال سبحانه: ﴿ويَعبُدُونَ من دونِ اللهِ ما لم يُنَزِّل به سُلطاناً وما ليس لهُم به عِلمٌ وما للظَّالمِينَ من نصيرٍ﴾. ويعود ذلك إلى أنَّ الكلام في آية الحج على من يعبد غير الله، فقد ذكر أنَّ هؤلاء عبدوا ما عبدوا من دون علم ولا معرفة، والتمييز بين عبادة الله وغيره لا يحتاج إلى قدر كبير من العلم، ومع ذلك فهم لا يملكون أي علم فيما يعبدون. أما آية الزخرف فالكلام فيها يتعلق بالقدر: ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾، والكلام في القدر يحتاج إلى قدر كبير من العلم ورسوخ قد في المعرفة، كونه من الموضوعات الدينية الفكرية الخطيرة، وهم لا يملكون القدرة على الكلام في هذا الموضوع، فنفى عنهم أقل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلم، فقال: ﴿ما لهم بذلك من علم﴾[89]. والتعبير في سورة الزخرف واضح أنَّه جاء في سياق محاججة فكرية كبيرة مع المشركين، فكان التوكيد أليق بمقامها، وأنسب لهدفها الأساس.

ومن التوكيد ما مرَّ علينا سابقا في قوله تعالى في سورة الزُخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26")، إذ استعمل نون الوقاية: ﴿إنني براءٌ﴾، للتدليل على القوة والعزم والشدة، التي قرر فيها نبي الله إبراهيم البراءة من عبادة غير الله سبحانه، فيما لم يأت بها في سورة الأنعام، فقال: ﴿إني بريٌ﴾، لاختلاف المقام وعدم الحاجة إلى التوكيد، وهذا التعبير أيضاً خدم المنحى الحجاجي لإبراهيم (عليه السلام) مع قومه، الموظف أساساً ضمن النص العام لسورة الزُخرف في حجاجها مع مشركي قريش.

ج - أسلوبية الصورة:

الصورة من الأدوات اللغوية الأدبية، التي شكلَّت جزءً أساساً من بنية القرآن الكريم بكلِّ تجلياته، وما ذلك إلاَّ تأكيداً لأثرها في إحداث التأثير في المتلقي من جهة، وإسناد الحجج العقلية بوسائل حسية ملموسة، من طريق تحويل الأفكار المجردة إلى أشياء محسوسة، تشاهد أو تسمع أو تحس. ويصب ذلك الاستثمار لطاقات اللغة الكامنة في جهة تعضيد الحِجاج، بوصفه نشاطاً عقلياً يستعمل اللغة لإثبات مسألة ما ونقض غيرها.

1- التشبيه:

التشبيه كما هو معلوم يرتكز على مبدأ المشاركة بين طرفين في صفة واحدة أو أكثر، استناداً إلى مبدأ أن تلك الصفة هي أوضح وأجلى في المشبه به من المشبه.

وقد ورد التشبيه مرةً واحدةً في سورة الزُخرف، وهو من نوع التشبيه البليغ، الذي يقوم على حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، ويقرر البلاغيون أنَّ هذا النوع من التشبيه هو أبلغ من التشبيه القائم على ذكر الأداة؛ لأنه يقوم على تناسي التشبيه وادعاء أنَّ المشبَّه هو عين المشبه به، إذ قال تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ كُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10)**﴾، **أي كالمهد والفراش في السعة، وإمكان الزراعة فيها والبناء**[90]. وقام التشبيه البليغ هنا على علاقة نحوية هي ما أصله مبتدأ وخبر، ويوفر لنا هذا النوع من التشبيه بعداً حجاجياً، بما يملكه من قوة تأكيدية للمعنى، يستلزمها أسلوب الحوار مع المعاندين، الذين يقرون بوجود الله تعالى، لكنَّهم ينسبون أنعامه ومننه على البشر إلى غيره سبحانه.

2-المجاز:

وما أعنيه هنا هو المجاز بمعناه الخاص، والذي يقسم على مجاز لغوي ومجاز عقلي، والمجاز اللغوي يقسم على مجاز مرسل ومجاز بالاستعارة، والاخير سنتناوله بفقرة خاصة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن المجاز المرسل الذي: "هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي للفظ"[91] قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28)﴾ والمراد بالكلمة الجملة التي قالها إبراهيم (عليه السلام) لقومه، وهي: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26)﴾ والعلاقة هي الجزئية؛ لأنَّه ذكر الجزء وأراد الكلّ[92]. واستعمال لفظ (كلمة) أبلغ في التعبير عن دعوته (عليه السلام)، وأركز في الحجاج؛ لأنها تدل على تواصل الدعوة بعده بثبات محتواها وجدية تبليغها، على الرغم من تغير الظروف التي مرت بأبنائه من الأنبياء، والمصاعب الجمة التي واجهتهم، ولا يخفى أنَّها رسالة مزدوجة لنبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) لتثبيت قلبه على الدعوة من جهة، ومن جهة أخرى هي رسالة للمشركين بأن مكائدهم ومغالطاتهم لن تقف بوجه إيصال رساله الربّ لعباده.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51)﴾ ففي الآية مجاز مرسل في قوله تعالى ﴿**وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي**﴾، وعلاقته المكانية، فالأنهار هي المكان الذي يجري فيه الماء، لذا فهي لا تجري بل الماء يجري فيها. وفرعون استعمل هذا التعبير محاججة مع موسى وهارون (عليهم السلام)؛ ليدلل على امتلاكه مصر بناسها وثرواتها وطبيعتها، فهو ربهم الأعلى، الذي لا يحتاجون معه إلى ربٍّ سواه.

ومن المجاز العقلي، الذي هو: "الكلام المزال إسناده عما هو له عند المتكلم إلى غيره بضرب من التأويل"[93] قوله تعالى: ﴿**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ** (65)﴾ فقد أسند العذاب إلى اليوم في قوله: ﴿**عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ**" مجازا، والعلاقة زمانية؛ لأن العذاب يقع في ذلك اليوم، وليس من اليوم. ومثله قوله تعالى: ﴿**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ** (83)﴾. وفي إسناد العذاب إلى اليوم تصوير لشدة العذاب؛ بأنَّ يوم القيامة- وبما يتضمنه من حساب عسير للكافرين، ومن فضحهم أمام الخلائق - هو عذاب محض بكل تفاصيله ووقته. وهذا الوصف يأتي في سياق تخويف المشركين من عاقبة أمرهم، الذي استعمله القرآن من ضمن حججه ضدهم.

3-الاستعارة:

الاستعارة: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[94]، وتنقسم من حيث حضور المشبه به أو غيابه إلى قسمين تصريحية ومكنية.

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** (4)﴾ وهذه استعارة من باب إظهار الخفي؛ لأنَّ حقيقته أنَّه في أصل الكتاب، فاستعير لفظ (الأم) للأصل؛ لأنَّ الأولاد تنشأ من الأم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئياً، فينتقل السامع من حدِّ السماع إلى حدِّ العيان، وذلك أبلغ في البيان[95]. وهذه استعارة تصريحية، حذف فيها المشبه وصرح بالمشبه به، وقد جرت في لفظ جامد فهي أصلية أيضاً. وهي تعاضد الحجاج مع المشركين من طريق تأكيد علوية الكتاب وصدوره من أصل مقدس، كما أكدت في الآية التي سبقتها على عربيته إثباتاً للحجة، وإمعاناً في التعجيز.

ومن الاستعمالات الاستعارية قوله تعالى: ﴿**والَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11)**﴾، ففي قوله: ﴿**بَلْدَةً مَيْتًا**﴾ استعارة مكنية؛ لأنه حذف المشبه به، الذي هو الإنسان، وترك شيئاً من لوازمه دليلاً عليه، وهو (الموت)، وهي تبعية من حيث اللفظ الذي جرت فيه، من جهة الجمود والاشتقاق، إذ جرت في لفظ مشتق، وهو (ميت). واستعارة الموت للبلدة، هو أبلغ في الحِجاج؛ لأنَّه يعطي البرهان على إحياء الموتى وإخراجهم يوم البعث، فحقيقة البعث بعد الموت والثواب والعقاب، من أهم أسس الدعوة الإسلامية، التي سعى القرآن لتثبيتها.

واستعمل سبحانه الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (40)**﴾، إذ شبَّه عدم استماع المشركين للحق بالصمم، وعدم رؤيتهم للحق بالعمى، فصرح بالمشبه به وحذف المشبه. وهنا توفر الاستعارة بعداً دلالياً عميقاً، أحدثه مهاجمة الخصوم، والتأكيد للرسول (صلى الله عليه وسلم) أنَّ عدم استجابة هؤلاء لدعوته لا يعود إلى تقصير منه في إبلاغها، بل لقصور المشركين في الاستماع إلى الحق واستيعابه ثم اتباعه.

4-الكناية:

الكناية إحدى الفنون التي تلجأ إلى المعاني المرادفة؛ لتحقيق ضربة دلالية لا يحققها التعبير المباشر، وقد عرَّفها البلاغيون بأنَّها: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدفُه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه"[96]، ووردت في سورة الزخرف في قوله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (18)**﴾، وهي كناية عنموصوف، وهذا الموصوف هو المرأة التي لا تتيح لها نشأتها الناعمة أن تكون متمكنة من الجدل والمنافحة. والآية الكريمة تأتي في سياق الحوار والمحاججة بين الله ورسوله من جهة، والمشركين من جهة أخرى، التي تزخر بها السورة الكريمة، بل هو محورها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة:

مادة هذا البحث كانت متداخلة ومتشعبة، تتنازعها محاور عدة هي: القرآن الكريم، والحِجاج، والحوار، وهي محاور أساسية يمتلك كل منها خصائصه المتفردة، ومع أنَّ الافتراق يبدو واضحاً بين القرآن بوصفه مستهدفا بالتحليل، وبين الحِجاج والحوار بوصفهما منهجين للدراسة من جهة، وجزءً من البنية للغوية للنص المدروس من جهة أخرى، إلاَّ أن التداخل هو الحتمية الظاهرة بين المحاور الثلاثة بما يمثله كل طرف من شراكة في البنية المدروسة، وبما يوفر من أطر نظرية للتحليل أيضاً.

وفي سورة الزخرف ظهر فيها جلياً البنية الحجاجية، القائمة على الحوار؛ استناداً إلى أنَّها من السورة المكية التي كانت تسعى إلى تثبيت الدعوة الإسلامية في طورها الأول، فكان الحوار المبني على الحجاج هو الوسيلة الأنجح والأسلم لتحقيق ذلك الهدف.

لذا فإنَّ تفشي هذا الأسلوب في السورة كان معضَّداً بالتراكيب والأساليب البلاغية التي تخدم الحور والحجاج معا، من دون أي مبالغات، فجاءت واضحة بيِّنة؛ لأن الوضوح هو سمة الحوار الذي يهدف إلى الإقناع، على الرغم من التعقيدات التي تحيط بموضعه، كونه يرتكز على إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، وتسفيه آله المشركين، وتسلية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتثبيت قلبه حيال ما تعرض له من تشكيك وإنكار وأذى، من طريق إراد بعض مما تعرض له الأنبياء والرسل من قبله.

وتأكيدا لما قلناه فقد استعمل سبحانه في سورة الزخُرف التراكيب المقوية للحوار الحِجاجي، كالأمر والاستفهام والتوكيد بكثرة، في مقابل قلة استعمال الفنون البلاغية المستندة إلى الصورة، كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية

مراجع البحث وإحالاته:

(1)- سورة الزخرف، دراسة لغوية: 8. (رسالة ماجستير).
(2)- التجديد والتحريم والتأويل، نصر حامد أبو زيد: 221.
(3)- لسان العرب (حجج): 4/ 39.
(4)- التحليل الحجاجي للخطاب القرآني – نماذج وملاحظات -، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب: 27.
(5)- الحجاج في البلاغة المعاصرة: 107.
(6)- م، ن: 107.
(7)- م، ن: 107و108.
(8)- البلاغة الجديدة، دراسة في مفاهيم الشعرية واللسانيات المعاصرة: 165.
(9)- الحجاج بين النظرية والأسلوب: 13.
(10)- والحجاج في البلاغة المعاصرة: 109.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(11)- مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية: 510.
(12)- م، ن: 533.
(13)- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: 41.
(14)- م، ن: 53.
(15)- دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، الشبكة الدولية، الرابط:
http: //www. nurmajalla. com/article. php?cid=1&c=4&id=273
(16)- مادة (جدل).
(17)- المفردات: 189.
(18)صحاح الجوهري، مادة: (نظر).
(19)في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 66.
(20)دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، الشبكة الدولية، الرابط:
http: //www. nurmajalla. com/article. php?cid=1&c=4&id=273
(21) صحاح الجوهري، مادة (حور).
(22)لسان العرب، مادة (حور).
(23) معجم مقاييس اللغة، مادة (حور).
(24) دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم: الشبكة الدولية، الرابط:
http: //www. nurmajalla. com/article. php?cid=1&c=4&id=273
(25) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: 37.
(26) دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، الرابط:
http: //www. nurmajalla. com/article. php?cid=1&c=4&id=273
(27) الحجاج في البلاغة المعاصرة: 107.
(28) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: 42.
(29)- صفوة التفاسير: 3/ 1129.
(30)- مختصر ابن كثير: 3/ 284.
(31)- التفسير الكبير: 27/ 195.
(32)- حاشية شيخ زادة على البيضاوي: 291/3، نقلاً عن صفوة التفاسير: 3/ 1130 و 1131.
(33)- صفوة التفاسير: 3/ 1131.
(34)- صفوة التفاسير: 3/ 1131.
(35)- م، ن: 3/ 1132.
(36)- تفسير البيضاوي: 2/ 178.
(37)- الميزان في تفسير القرآن: 18/ 123.
(38)-التفسير الكبير: 27/ 227.
(39)- صفوة التفاسير: 3 / 1133.
(40)- التفسير الكبير: 27/ 208.
(41)- صفوة التفاسير: 1134/3.
(42)- تفسير الكشاف: 4 / 197.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(43)- صفوة التفاسير: 3/ 1135.
(44)- م، ن: 3/ 1135.
(45)- التسهيل لعلوم التنزيل: 4 / 29.
(46)- صفوة التفاسير: 3 / 1137.
(47)- م، ن: 3/ 1137.
(48)- م، ن: 3/ 1137.
(49)- م، ن: 3 / 1137.
(50)- تفسير القرطبي: 16: 102.
(51)- تفسير أبي السعود: 5/ 47، و صفوة التفاسير: 3 / 1138.
(52)- تفسير القرطبي: 16/ 105.
(53)- م، ن: 16/ 119.
(54)- صفوة التفاسير: 3/ 1139.
(55)الحجاج في البلاغة المعاصرة: 115و116.
(56)م، ن: 115 و116.
(57)م، ن: 108.
(58) م، ن: 116.
(59) حجاجية الأسلوب في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ: (رسالة ماجستير).
(60) أسرار التكرار في القرآن: 191و192.
(61)- سورة الزخرف – دراسة لغوية -: 129. (رسالة ماجستير).
(62)- م، ن: 129 و130.
(63)- م، ن: 130.
(64)- الآية: 2.
(65)- مفردات غريب القرآن:
(66)- في ظلال القرآن: 25/ 59.
(67)- الآيتان: 10و11.
(68)- ملاك التأويل: 289.
(69)- سورة طه: 44 و45.
(70)- ملاك التأويل: 340، وسورة الزُخرف – دراسة لغوية -: 134.
(71)- ملاك التأويل: 340 و341.
(72)- الآية: 24.
(73)- ملاك التأويل: 439، التعبير القرآني: 191.
(74)-ملاك التأويل: 439 و440، والتعبير القرآني: 191.
(75)- الآية: 37.
(76)- ملاك التأويل: 326 و 327.
(77)- م، ن: 326.
(78)- الآية: 78.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(79)- التعبير القرآني: 38.

(80)- م، ن: 38.

(81)- الحجاج في البلاغة المعاصرة: 116 و117.

(82)- تفسير الكشاف: 995.

(83)- الآية: 50.

(84)- سورة الشعراء: 49.

(85)- ملاك التأويل: 375.

(86)- م، ن: 375.

(87)- الآية: 36.

(88)- سورة الزخرف، دراسة لغوية: 139 و140.

(89)- التعبير القرآني: 125.

(90)- صفوة التفاسير: 3/ 1143.

(91)- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 595.

(92)- صفوة التفاسير: 3 / 1144.

(93)- المصباح في المعاني والبيان والبديع: 183.

(94)- مفتاح العلوم: 477.

(95)- البرهان في علوم القرآن: 893.

(96)- دلائل الإعجاز: 51.

المصادر والمراجع:

1. أسرار التكرار في القرآن: تاج القراء الكرماني (ق 6 هـ)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، القاهرة 1977.
2. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (794 هـ)، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة 2006.
3. البلاغة الجديدة، دراسة في مفاهيم الشعرية واللسانيات المعاصرة: وليد فرحان علي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب / الجامعة المستنصرية 2014.
4. تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت نحو 393 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1978.
5. التحليل الحجاجي للخطاب، بحوث محكمة، إشراف وتقديم: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط1، الأردن 2016.
6. التجديد والتحريم والتأويل: نصر حامد أبو زيد، ط 1، المركز الثقافي العربي، المغرب 2010. - التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي الكلبي الغرناطي (741 هـ)، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت 1995.
7. التعبير القرآني: فاضل السامرائي، ط 5، الأردن 2007.
8. تفسير أبي السعود: أبو السعود العمادي (982 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2010. - تفسير البيضاوي: ناصر الدين الشيرازي البيضاوي (685 هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2010.
9. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (671 هـ)، ط 2، دار الكتب المصرية، القاهرة 1935.
10. تفسير الكشاف: جار الله الزمخشري (538 هـ)، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، ط 1، دار المعرفة، بيروت 2002.
11. - التفسير الكبير(مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت 2004

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12. حجاجية الأسلوب في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ: شيماء أبجاو، رسالة ماجستير، الشبكة الدولية الرابط: http: ///www. alukah. net/literature_language/0/68265

13. - الحجاج بين النظرية والأسلوب: باتريك شارود، ترجمة: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة 2009.

14. الحجاج في البلاغة المعاصرة: محمد سالم الطلبة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2008.

15. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، بيروت 2006.

16. دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم: إسحاق رحماني، بحث منشور على الشبكة الدولية، الرابط: http: //www. nurmajalla. com/article. php?cid=1&c=4&id=273

17. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (471 هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2001.

18. سورة الزخرف- دراسة لغوية-: خليل عبد المعطي عثمان، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة 2002.

19. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، بيروت 2012.

20. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن ط2، المغرب 2000. -

21. في ظلال القرآن: سيد قطب، ط 17، بيروت – القاهرة 1988.

22. لسان العرب: جمال الدين بن منظور (ت 911 هـ)، بيروت 2010.

23. مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، ط 7، دار القرآن الكريم، بيروت 1981.

24. المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين بن مالك (686 هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2001.

25. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: دومينيك مانغوا، ترجمة: محمد يحياتن، ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت) ومنشورات الاختلاف (الجزائر)، 2008.

26. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان / ناشرون 2007.

27. 24. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت 395)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر 1979.

28. مفتاح العلوم: لأبي يعقوب السكاكي (626 هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2000.

29. مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني (425 هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم (دمشق) و الدار الشاميّة (بيروت) 1984.

30. مفهوم الحجاج في القرآن الكريم - دراسة مصطلحية-: لمهابة محفوظ ميارة، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، م: 81، ج: 3.

31. ملاك التأويل: لأبي جعفر الغرناطي (708 هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 2006.

32. الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي (1402)، صححه: حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الإمام المنتظر، إيران 2004.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com